المسافة الدلالية نتاج المتلقي وتأويل النصّ

The semantic distance is the product of the receiver and the interpretation of the text

أ. م. د. عبدالزهرة إسماعيل السالم (*)

Dr .Abdul-Zahra Ismail Al-Salim

Phdalsalim94@gmail.com

Abstract

In the text lie interactive relations between the text and the creative reader on the one hand ,and between the product of the creative reader) with his interpretive reading (and the recipients ,as the creative reader travels within the text to explore its semantic horizons and to indicate his intention ,and this requires descending into the context ,and all of this depends on the cultural and cognitive stock Which is characterized by that creative reader .Since the text is characterized by non-stagnation ;Because it passes through multiple linguistic ,cultural or historical readings..etc .It has multiple semantic products according to the horizon of that reader and its analysis ,so this research came to stand on the semantic distance of the read text and its interpretation linguistically and semanticly.

Keywords: semantic distance, semantic distance.

(*) جامعة المستنصرية / كلية الآداب

المستخلص

تكمن في النصّ علاقات تفاعلية بين النصّ والقـارئ المبدع من جهة ، وبيـن نتاج القارئ المبـدع (بقراءتـه التأويلية) والمتلقيـن ، إذ إنّ القـارئ المبدع يرحل داخل النصّ لاستكشـاف الأفـاق الدلالية له وبيان قصديته ، وهذا يتطلب النـزول في رحـاب السّـياق ، وكلّ ذلك يعتمد على المخزون الثقافي والمعرفي الذي ينماز به ذلك القارئ المبدع.

ولمّـا كان النـصّ يتصـف بعـدم الجمود ؛ لكونه يمـرّ بقراءات متعددة لغويـة أو ثقافية أو تأريخية..الـخ يكون ذا نتاجات دلالية متعددة بحسـب أفق ذلـك القـارئ وتحليله ، لـذا جاء هذا البحـث ليقف على المسـافة الدلالية للنصّ المقروء والمـأول لغوياً ودلالياً ، فكان لابدّ من عـرض لهذا المصطلح وبيـان مفهومه الدلالي ، ومـن ثمّ بيّنـت المقاربة بين المسـافة الدلالية والهيرومنيوطيقيـا (التأويـل) ، وبعد ذاك كان الجانـب التطبيقي على مسـتويين ، المسـتوى النحـوي والمسـتوى الدلالـي، وخاتمـة لأهـم نتاجات البحث.

كلمـات مفتاحية: المسـافة الدلالية، المسـافة الدلالية.

للنـصّ امتـداد خارج نطاقـه ونطاق كاتبه امتـداد إلى منتج النصّ (القارئ) ؛ لكونه متلقياً لـه , والواقف على عتباتـه ودلالاته , والنصّ لا قيمـة له من دون القـارئ , ودلالته هي التي يحددهـا القـارئ لا النـصّ (عـزام، ٢٠٠٧، صفحـة ٣٧) , فنتاجـات النـصّ تأتـي بعد أن يتلقـى القارئ لـه إذ إنّ " حياة الأعمال الأدبية تبـدأ من اللحظة التي تنشـر فيهـا إذ هي تقطع صلتهـا بكاتبها لتبدأ رحلتها مع القارئ" (وردة ، ٢٠٠٩، صفحـة ١٠٥) أي الرحلة سـتكون من النصّ إ'لى القارئ , وعملية القراءة تسـير باتجاهيين متبادلين من النصّ إلى القارئ , ومن القـارئ إلى النصّ , فبقدر ما يقدم النصّ يضفي القـارئ على النـصّ أبعاداً جديدة قـد لا يكون لها وجـود في النصّ (نبيلـة ، ١٩٨٤، صفحة ١٠١ و١٠٢), وتتأتى هذه الإضافات لما يتمتع به القارئ من سـلطة ادراكيـة , ومعرفية قادته إلـى تحليل النصّ وتأويلـه اللتين مكنته من من الإبحـار في عالم النصوص يفتش من طريقهما عـن المعنـى وينقـب عنـه مسـتخدما مداركه وحواسه , فيبحث عن معانٍ لم تكتمل لديه يروم فـي اكتمالهـا (فتحيـة، ٢٠٠٨، صفحة ٤٣) , أذن القـارئ والنصّ مرتبطـان من طريق فعل القراءة التي بها تتم عملية فكّ شفرات النصّ ذي الدلالات المتعددة , ولكي تنجح عملية التواصل بين القارئ والنصّ.. وينتهي القارئ إلى تشكيل المعنـى النصّي الذي غالباً مـا بزعزع تجربته المكتسـبة لا بـدّ للنصّ أن يقود خطـا القارئ , ويضبط مسيرته إلى حدّ ما (روبرت، ٢٠٠٠، صفحـة ١٤٦) , فالنـصّ فيـه دلالات متعددة , وإيحـاءات بين سـطوره , ورموز قد تثير ذهن القارئ , وتحركه ببساطة فتنشأ من تلك العملية

(المسـافة الدلاليـة) في النصّ أشـبه ما يكون بـ(الفراغ) أو (الفجوات) التي ناقشها (آيزر وياوس) , وتتمثل في (مجموع التفككات التي تفصـل بين أجـزاء المنظـورات النصّية ووجودها داخل النصّ يشـير إلى سكوت النصّ عن ارتباطات أو علاقات دلالية معينة يمكن أن تقوم بيـن مختلف أجزائـه وخطاطاته , ويجب على القـارئ أن يتمثلهـا (عبدالكريم، ٢٠٠٧، صفحـة ٢٢٥) هذه الفجـوات أو الفراغات بين المنظـورات النصّيـة غير معروفـة أو قل إنّها غير محـددة , وهذا اللا مفهـوم أو اللا محدود هـو الذي يخلـق العلاقة بين النـصّ والقارئ , فالتفاعـل بينهمـا هو (عمليـة لا يحركها , ولا ينظمها سـنن معطى بـل تفاعل مفيد وموسـع بطريقة متبادلة بين ما هو صريح وضمني بين الكشـف والإخفاء , إنّ ما هو خفي يحث القارئ علـى الفعل , ولكـن هـذا الفعل يكـون مراقباً أيضـاً بما هو مكشـوف ويتغير مـا هو صريح بدوره عندما يُبرز إلى الضوء (آيزر، ١٩٩٥، صفحة ١٠٠) , ومما تقدم يتضح أمران:

الأول : أنّ هنـاك ثمـة مضمـرات أو تفاعلات غائبـة أو مخفية في النصّ تحفـز القارئ وبما يمتلكـه مـن معـارف لغويـة , وتحليليـة مـن إظهارهـا , وملء فجواتها وتبدأ هذه الإملاءات من تساؤل القارئ في أثناء القراءة .

الثاني : إنّ فعل القراءة ما هو إلا تفاعل مستمر بين النصّ والقارئ إذ إن هناك إشـارات دلالية وظيفتها نقل الأفعـال اللغوية الدلالية إلى العالم التخيلـي للقـارئ , وعليـه يمكن أن يقـال إنّ المسافة الدلالية:

- بُعـد دلالي تأويلي جديد يضاف إلى السـابق ، مـع اختلاف النحاة اللسـانيين ممن اهتم بنحو الدلالـة، وبالأدوار المحورية الدلالية في تنميط هذه المسـافات الدلالية , ووضعها في نظام ما؛ لأنّ الموضوعات المعجمية متنوعة , ولا يمكن حصرها فـي قوالب و إنموذجـات مهما اجتهد المنظرون (عبدالسلام ع.، صفحة ٦٩) , وهذا نـوع مـن الوظائف , لسـد الهـوة الفاصلة بين النظام ومجـال إجرائه , بين المتصور الذهني عـن العلاقة ومـا يظهـر منها في الاسـتعمال , فلـكلّ لفـظ وظيفـة تداوليـة منطقيـة , ومّـا وظيفتـه النحوية إلا دليل علـى الوظيفة الاولى (عبدالسلام ع.، صفحة ٦٧).

- مرحلـة تصادم أُفق توقع القارئ مع أُفق توقع النـصّ, وهو مفهوم يقوم على التعارض بين ما يقدمـه النصّ , وما يتوقعه القارئ (آلاء داوود، ٢٠١٢، صفحة ٦).

- المسـافة الفاصلة بين الانتظار الموجود سلفاً, والعمل الجديـد , إذ يمكن للمتلقي أن بؤدي إلى تغيير الأفق بالتعـارض الموجود مع التجارب المعهود (بشرى، ٢٠٠١، صفحة ٤٦).

- المسـافة الفاصلـة بين مـا يقدمـه العمل وما يؤولـه (القارئ المبـدع) ويتوقعه بما يملكه من إدراكات معرفية ولغوية ،وهذه المسافة يلحظها غير القـارئ الأول الذي أوّل النـصّ – القراء المتعددون للنصّ- ، وتظهر هذه المسافة الدلالية

بعد قراءة أيّ نـصّ أوّله القارئ المبدع أواطلع على تعدد التأويلات للنصّ نفسه.

إنّ هذه المفهومات الآنفة الذكر طرحت لأمرين اثنين:

الأول : لأظهـار التقـارب بين مفهوم المسـافة الدلاليـة والمفهومـات الأخـر التـي تعبر عن (المسـافة الجمالية , والفجوات) بحسب نظرية القراءة والتلقي.

الثانـي: أنّ المسـافة الدلالية تؤكـد الصلة بين النـصّ والقارئ والتفاعـل بينهما هذا التفاعل قـد يـؤدي إلى تجديـد معنـى النـصّ , وتقديم معلومة جديدة , وهذا ناتج من تصادم أفق توقع القارئ مع أفق توقع النصّ الذي سيكون إيجابياً , وقـد يـؤدي إلى عدم تجديد معنـى النصّ مما يـؤول إلى أفق التوقع السـلبي إذا مـا علمنا أنّ أفـق الإنتظار (التوقـع) (الفضاء الذي تتم من خلاله بناء المعنى , ورسم الخطوات المركزية للتحليـل ودور القـارئ فـي إنتـاج المعنى عن طريق التأويل الأدبي الذي هو محور اللذة لديه) (محمد ع.، ١٩٩٩، صفحة ١٠٩) .

إنّ المسافة الدلالية في أيّ عمل تستند إلى :

النصّ : ذلك النسـيج اللغـوي , الكم المبني من الألفاظ ذو المعاني المتعددة .

القـارئ :الذي لـه القـدرة الابداعيـة على فكّ الرمـوز النصّية ويتصف بقـدرات أو كفاءات تمكنـه مـن تحليل النـصّ , وتفكيكـه , وتأويل تراكيبه النصّية .

وبحسب نظرية (إيزر) إنّ تشكيل معنى النصّ لا يكون إلا من طريق القارئ , ويكون النتاج عن (التفاعـل الحاصل بين العلامات النصّية وفعل الفهم عنـد القارئ , ومن الواضح أنّ القارئ لا يستطيع أن يقصد هذا التفاعل بل إنّ النصّ يشدّ القارئ إليه , ويجعله يخلق الظروف الضرورية لفعالية ذلك النص) (فولفغانغ، وضعية التأويل الفـن الجزئي والتأويـل الكلي، ٢٠٠٤، صفحة ٥٨) ونستخلص من ذلك أنّ (المسافة الدلالية) : التفاعـل بين النصّ والقارئ الذي يتمتع بقدرة لغويـة ومعرفية تمكنـه من انتـاج معنى جديد للنـصّ , فبما يمتلكه (القـارئ المبدع) من تلك القدرات تكون له قـدرة تأويلية لملء الفراغات , والفجـوات التـي تركهـا (المرسـل) , فمـن العمليـة (التأويلية) تظهر (المسـافات الدلالية) , وتُنتـج بحسـب القرب الزمنـي بين النصّ والقارئ , فكلما تقارب الزمن بينهما صار كسر في المسـافة الدلالية بسبب قرب منشيء النصّ من القارئ , وكلما تباعد الزمن بينهما سـارت المسـافة الدلالية بطريقـة تأويلية إبداعية من قبل القارئ ؛ لبعد منشئ النصّ من القارئ .

المسافة الدلالية والهيرمنيوطيقيا:

إنّ المقاربـة بيـن (المسـافة الدلاليـة) و(الهيرمنوطيقيـا) تظهـر التفاعـل بين النصّ والقارئ والاسـتجابة لآفاق انتظـاره بعد توفر آليتين:

- زمان النصّ
- حضور القارئ المبدع

وإذا كان هناك بنية قصدية في النصّ , فهذه القصديـة هي التـي دعت القارئ إلـى تأويليها وهـذا يعني إنّ هنـاك بنية قصدية فـي النصّية والتعبيرعـن هـذه القصدية هي مسـافة دلالية (عـادل، ٢٠١٧، صفحة ١١) , فالقارئ يبحث عـن الألفاظ أو التراكيب التي تؤول ليتسـنى له انتاج دلالات متعددة .

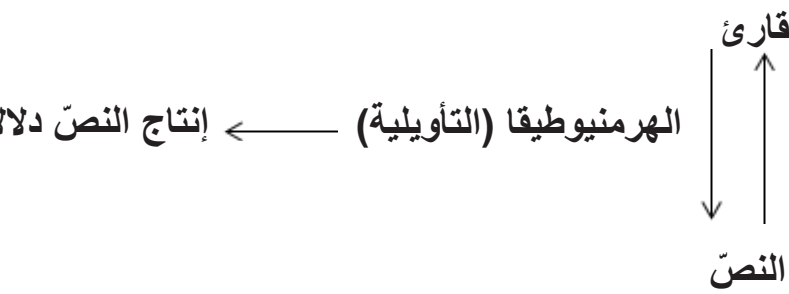

التخطيـط المذكـور آنفـاً يظهر مدى الترابطيــة بين القــارئ والهرمينوطيقا والنــصّ , فإنتاج النصّ مهمة منوطة بالقارئ, وعليه تكون التفاعلية الحاصلة بين النصّ والقارئ أســاس الهرمينوطيقا , وهذا المصطلح يشــير إلى علم التأويل بمبادئ التفســير النصّي القويم، وهذا الحقــل تمّ تأويله بترتيب زمني (عادل، ٢٠١٧، صفحة ٣٩):

- نظرية تفسير الكتاب المقدس.
- ميثودولوجيا فقه اللغة العام .
- علم كل فهم لغوي.
- الأساس المنهجي للعلوم الإنسانية.
- فينومينولوجيا الوجود والفهم الوجودي.
-اتساق التأويل التي يستخدمها الإنسان للوصول إلى المعنى القابع وراء الأساطير والرموز.

كلّ ترتيــب زمني اهتم بأمرين اثنين : ســلطة النصّ والقدرة المعرفيــة عند القارئ من جهة ومن جهة أخرى بيّن هذا الترتيب اتســاع مصطلح الهرمينوطيقا وتعــدد اتجاهاته في مختلف الميادين المعرفية , فبعد أن بدأت الهرمينوطيقا اســلوباً نقدياً مع تفســير النصوص المقدســة أصبحت فعالية أدبية , وفكرية ينهض بها المتلقي بعد القراءة الدقيقة للنصّ (مصطفى ، ٢٠٠٨، صفحة ٢١) ؛ للكشف عما يكنّه النصّ من معانٍ متعددة.

إنّ الهرمينوطيقا مصطلح مشتق من الكلمة Hermeneuin بمعنى تفسير أو توضيح الذي كان يقصد بها ذلك الجزء من الدراســات اللاهوتية المعني بتأويل النصوص الدينية بطريقة خيالية ورمزية تبعد على المعنى الحرفي المباشر , وتحاول اكتشاف المعاني الحقيقية والخفية وراء النصوص المقدسة (معتصــم، ٢٠٠٩، صفحــة ١٨) , أمّا من عدّ الهرمنيوطيقا فنّ امتلاك كلّ الشــروط الضرورية للفهم (عبدالكريم، ٢٠٠٧، صفحة ٢٤) فيعود إلى العالم الألماني(شلايرماخر) إذ لم يقتصر الفهم على النصّ الديني بل النصّ في كلّ أبعاده الاجتماعية والسياســية والأدبية ...إلخ (معتصم، ٢٠٠٩، صفحة ٥٩) ,وعملية الفهم عند (شلاير ماخر) تتم عبر محددين : (معتصم، ٢٠٠٩، صفحة ٢٣).

الأول : اللغــوي الــذي يضطلــع بتحديد المعنى على وفق قوانين موضوعيــة , إذ إنّ لكلّ حديث علاقة مزدوجــة باللغــة ككلّ وبجماع تفكير المتحدث كذلك هناك لكلّ فهم لحظتان: فهم للحديث بوصفه شــيئاً

متحداً من اللغة , وفهمه بوصفه واقعة في تفكير المتحدث.

الثاني : السكيولوجي فيرمي إلى قراءة المؤلف وعبقريته الخاصة , وإذا امعنا النظر نجد أنّ (شلاير) قد جعل المحددين كليهما جنباً إلى جنب (التأويل اللغوي) أيّ فهم النصّ المستمد من اللغة إلى جانب التأويل الفكري (السيطولوجي), وهو أن تعيش مع الواقع الفكري للمؤلف , وأعتقد أنّه يقصد معاينة (القارئ المبدع) لذلك الواقع الفكري للمؤلف , وأنّ الهدف من الهومنيوطيقا كانت على النحو الآتي :

- البحث عن المعنى (هيو، ٢٠٠٢، صفحة ٦٢).
- الكشف عن المسافة الدلالية للنصّ (وتكون هذه المسافة المسؤولة فيها فكّ الفجوات) (عزام، ٢٠٠٧، صفحة ١٩٣)
- كشف العلاقة بين أمرين : أحدهما ظاهر والأخر خفي , ودور المسؤول يكمن في الكشف عن الثاني ؛ لأنّه يحتوي القصدية الحقيقية (بازي، ٢٠١٠، صفحة ٢١) .
- فكّ شفرة النصّ مبتدئاً بالمعنى الظاهر للنصّ لينتهي إلى معناه الباطن (عباس، إشكالية التبعية والايستمولوجية للتأويل الأدبي ، ١٩٩٩، صفحة ٩٥).

يبدو ومن طريق عرض مفهوم (الهيرمينوطيقا) وأهدافها المذكورة آنفاً يظهر العلاقة التفاعلية بينها وبين قارئ النصّ ، ومن طريقها ستكون (المسافة الدلالية) حاضرة ، فالبحث عن المعنى والكشف عن باطنه مهمة (المؤول / القارئ المبدع) الذي بدوره سيفكّ شفرة النصّ ، وملء فراغاته.

المسافة الدلالية / المستوى النحوي

يكون النصّ ذا قيمة حينما يكون استعماله جماعياً ففيمة النصّ أيّ نصّ تأتي من طريق قراءته ، وهي التي تبث الروح فيه ؛ لكون القارئ هو المعني بعملية نتاج النصّ ؛ لأنّ فعل القراءة ما هو إلا تفاعل دينامي بين النصّ والقارئ ، فالنصّ يحاور نفسه ممتداً في القارئ ، والقارئ يخرج ذاته ممتداً للنصّ (نادر، ٢٠٠٣، صفحة ٢٥ و٢٦) ، وإنّ (المسافة الدلالية) قائمة على (تأويل النصّ بفعل قراءة القارئ) ، وهذه عملية توليد دلالة النصّ التي لا تقوم إلا على أنّها نتيجة للحدث المتبادل بين الإشارات النصّية وأفعال كفاءة القارئ (خوسيه ماريا، ١٩٩٢، صفحة ١٣٢) ، وإنّ القول (القراءة) يعني أنّ النصّ صار تحت أنظار القارئ ، وسيكون – نتاجاً – مصيره التأويل الذي هو من آليات التوليد إذ إنّ توليد نصّ هو تحريك استراتيجية تشترك فيها توقعات أفعال أخرى (أمبرطو ، ١٩٩٩٢، صفحة ٥٨).

إنّ تأويل النصّ يتولد منه دلالات جديدة تكون حاضرة في فكر القارئ الأنموذجي أو المبدع بغض النظر عن قرب التصّ من القارئ زمانياً أم بعده عنه ، إذ إنّ بُعد النصّ زمانياً عن القارئ يعني بُعده عن منشئ النصّ وعلى الأعم الأغلب يجعل من التأويل (الهيرمنيوطيقا) يأخذ مساحة مقبولة لدى القراء الآخرين.

وللوقوف على (المسافة الدلالية) لابدّ من الإشارة إلى ما للوظائف المعنوية من أهمية في النصّ ، وترابطها مع الوظائف النحوية وبهما يستند إليهما التأويل في إظهار تلك المسافات ونجد ذلك في قول المتنبي (ابو العلاء، ١٩٨٨م ١٤٠٩هـ، صفحة ٣٣٧/٤):

فـ(القارئ المبدع) لهذا النصّ يريد اكتشـاف المعنى الدلالي فيه لذا نجده يبحث عن الدلالة التي تختفي وراء لفـظ (طيبـاً) التي جاءت فـي قراءته (القارئ النحوي) بتأويلات متعـددة (ابو العلاء، ١٩٨٨م ١٤٠٩هـ، صفحة ٣٢٣٧/٤) و (ابن الحاجب، ١٩٨٩، صفحة ٦٧١/٢):

- منصوب على أنّه مصدر بإضمار فعل كأنّه قال : تطيب طيباً.
- منصـوب علـى أنّه تمييز ، أي : فضل هذه المغاني في طيبها كفضل الربيع على سـائر الأزمان في الطيب ، * ولست بصدد تقديم التمييز على عامله فهناك من أجاز ، وهناك من لم يجز بل بصدد عرض قراءة النصّ تأويلاً *.
- مرفوع على أنّه خبر لمبتدأ (مغاني الشعب طيب في المغاني لكما كما أنّ الربيع طيب في الزمان.
- منصـوب علـى أنّـه حال (يجوز أن يكون طيباً حالاً معمولاً لمتعلـق (بمنزلة) ، أي :مقدرة الربيع من الزمان في حال طيبها بالنسبة للأزمان ، ولا يكون من باب تقديم الحال على العامل المعنوي ؛ لأنّ العامل هنا محذوف مقدر بلفظ (مقدرة) لا بـ(الاسـتقرار)). (ابن الحاجب، ١٩٨٩، صفحة ٦٧١/٢) ، ويلحظ في قراءة بيت المتنبي الآتي:
- هناك أكثر من قراءة نتج عنه تأويلات متعددة وكلّ قراءة للفظ (طيبا) نتج عنها اتساع المعنى .
- لم تكن (المسافة الدلالية) لها وجود لولا تعدد التأويلات ، فـ(القارئ المبدع) بما يملكه من خبرة لغوية أوّل النصّ بعيداً عن منشئه زمانياً ، وكلّ تأويل خلق لنا مسافة دلالية.
- إنّ تعدد الأوجه الإعرابية أوجد دلالات متعددة للنصّ يعني أنّ النصّ قابل للتأويل بحسب وجه نظر القارئ المبدع.
- إنّ التفاعـل بيـن القارئ والنصّ أظهر القـدرة المعرفية واللغوية لدى القارئ بملء الفجوات ، ومن ثمّ استجلاب المعاني واستنطاق النصّ.
- إنّ لفظ (طيباً) هو المتحدث عنه في النصّ الذي دفع القارئ للكشـف عمّا فيه من تأويلات ، ومن ثمّ وضعه في قاعدة تنطلق من رؤيته ، وبحسب نظرية (إيزر) فإنّ اللفظ (طيباً) الذي هو جزء من النصّ فيه قطبان أحدهما : فني الخاص بالمؤلف ، والآخر جمالي الخاص بالقارئ. (إيزر، صفحة ١٢).

تعدد القراءات

إنّ (المسـافة الدلالية) نتاج لأحد النصّين: نصّ غامض ومغلق ، فالأول يسـمح للقارئ أن يقف على مفرداتـه وإزالـة ذلك الغموض ؛ لأنّ هذا النصّ لا يمكـن الوصول إلى أبعاده إلا عبر صياغته اللغوية (عبدالمطلـب، صفحـة ١٢)، والنصّ المغلق يكون بعيداً عن هـذا التأويل ، ويمكن القول / إنّ ما يمثل النصّ الغامض قول جرير (جرير، ١٩٨٦، صفحة ١٠٧):

تزود مثل زاد أبيك فينا فنعم الزاد زاد أبيك زادا

منشئ النصّ جمع بين الفاعل الظاهر لـ (نعم) وهو (الزاد) ، وبين التمييز(زاداً) ، ووظيفة التمييز هنا توضيح ما قبلها عبر إدخال أو تضمين المميز في التمييز تركيباً دلالياً في تمييز المفرد ، ودلالياً في تمييز النسبة ، ولمّا كان (زاداً) المقصد منه إزالة الإبهام صار محوراً دلالياً ، وحركة المسافة الدلالية حالة فيه فهو المنتهى والغاية.

ولـ(زاداً) قراءة تأولية على أنّه (مفعول به أو مصدر) ، والذي أوجد ذلك اشتراك الدلالة المعجمية للفعـل ، وهـذا الاشـترك فـي الوظيفة قد يكون ناتجـاً من عدم الاختـلاف بين إفراد اللفـظ والتركيب (عبدالسلام ا.، ٢٠٠٣، صفحة ٢٥٤)، أي : تزود زاداً مثل زاد أبيك فينا، وعلى هذا تكون (مثل) حالً من (زاداً) وأصله نعت ، ولما تقدم صار حالاً (ابن يعيش ، صفحة ١٣٢/٧)

وممـا تقـدم نلحظ أنّ اللفظ (زاداً) توسـع كثيراً خـارج حدود العلاقة المعجميـة الضيقة المعروفة مـع مدلولـه (محمـد ص.، ٢٠١٢، صفحة ٧٨)، وإنّ وجـود العلاقية الترابطية بين المسـافة الدلالية والهيرمنيوطيقـا تظهـر مـدى التفاعل بين النصّ وقارئه ، وفي ضوء ذلك يقـول المتنبي (ابو العلاء، ١٩٨٨م ١٤٠٩هـ، صفحة ١٤٨/١):

سنان في قناة بني معد بني أسد إذا دعوا النزالا

من المعروف أنّ النصّ مهمته صنع من يقرأه لكنّه لا يستطيع أن يؤول نفسه ولا يحتاج صاحب النـصّ أن يقـوم بعملية التأويل للنصّ بـل المهمة مناطة بقارئه ، مع العلم أنّ كثيراً من المعاني لا تزال في ذهن صاحب النصّ لا نعثر عليه إلا بالجهد وإلا بعد أن نتصرف علي قاموسـه ونفسـيته ، ومقدار احترامـه لمدلولات الألفـاظ ، ومقدار جرأته في الخروج عليها (بـول، ٢٠٠٩، صفحة ١٧١)، وفي النـصّ الآنـف تتصارع القـراءات – تأويلاً- على لفظ (بني أسـد) التي كانت علـى النحو الآتي (أبو

المرشد، ١٩٧٩، صفحة ٢١١) :

- قول ابـن جني الذي نصبه على النداء ومعناه : إنّ قـول بنـي معد إذا نازلوا الأعـداء: يا بني أسـد ؛ ليقوم في الغناء والدفع عنهم مقام سـنان مركـب فـي فنائهـم ؛ لأنّهم إذا دعوهـم أرهبو الأعداء ، وأغنـوا عنهم ومنعوا منهم ، ويجون أن يكون (بني أسـد) بـدلاً من (قناة بني معد)، كأنّه قال : سـنان في بني أسـد الذين هم قناة في بني معد يريد بضربهـم إياهم ، وهذا أقوى من القول الأول.

- قول أبي العلاء : إنّه منصوب على المفعولية بإضمار فعل كأنّك قلت : أعني أو أريد بني أسد

الـذي يلحـظ تعـدد المسـافات الدلالية من جـراء القراءة التأويلية للنـصّ من جهة ، ومن جهة أخرى إنّ تلك التأويلات لاقت مقبولية عند القراء المتعدديـن؛ لأنّ (الهيرمنيوطيقا) تذهب إلى أنّها ذات طبيعة دائرية أساساً ، إذ إنّها تؤمن أننا لا نسـتطيع أن نفهـم التفاصيل من دون أن نضـع خطوطاً عامـة لفهم الكلّ تمامـاً كما أننا علـى العكس لا نسـتطيع أن نحقـق رؤية الكلّ إلا بالعمـل من خلال أجزائـه (بول، ٢٠٠٩، صفحة ٢١)، وهذه العملية تظهرأموراً متعددة :

- طبيعـة العلاقـة بيـن الحواريـة التـي تربط (القارئ بالنصّ).

- الثقافـة الفكريـة واللغويـة التـي يتمتـع بها المؤولان (القارئان المبدعان) ، فابن جني أولّ تأويليين لمفردة واحـدة في النصّ مع مجافظته علـى تماسـك النصّ بربـط جزئياتـه بكلياته ، وكلياته بجزئياته ، والقول نفسـه يقال في تأويل أبـي العلاء للمفردة نفسـها ، وكلاهما أرادا أن يبينا ما يحمل النصّ من دلالات متعددة.

- مـن طريق مـا تقدم نجـد تصادم أفـق توقع القارئ مع أفق النصّ ، وهذا ما يسمى بالمسافة الدلاليـة التي يتحقق المعنى من طريقها ، و من طريق تفاعل القارئ مع النصّ.

إنّ النـصّ ذو نركيبة بنيوية بتألف من ألفاظ متراصـة تجعل منه نسـيجاً محكومـاً بقوانين لغوية ؛ لكونه (مجموعة من العلاقات اللفظية أو الدلاليـة بين أجزاء النصّ إذ تلتحم هذه الأجزاء ويتماسـك بعضها مع بعض بحيث إذا غاب هذا الالتحام ظهر النصّ وكأنّه أشلاء ومزق لا ربط بينها) (سمير، ١٩٨٨، صفحة ٢٥٢) ، لذا يُعدّ النصّ متماسـكاً دلاليـاً حينما تقبل كلّ جملة فيه التفسـير والتأويل في خطّ داخلـي (د. صلاح، ١٩٩٢، صفحـة ٢٥٠) ونجـد ذلك في قول بن الرقيات: (د. محمد، صفحة ١٧٦)

لن تراها ولو تأمّلت منها

ولها في مفارق الرّأس طيباً

ففـي هـذا النصّ تتحق المسـافة الدلالية من طريـق حضور ظاهرتين أساسـيتين في عملية التأويل:

مسـتوى الترابط النحوي، يعني ترابط الجمل بعضهـا مع بعض في بنية النصّ الواحد ؛ لأنّها المسؤولة من تكوين سـياق نصّي معين يساعد على تفسـير التراكيب داخل النصّ (محمد ح.، ١٩٦٩، صفحـة ١٢٦ و١٢٧) ، ولاسـيما في قولـه (طيباً) المحور الأسـاس في تأويل النصّ ، والمسـؤول عن تكوين سـياق النصّ وإظهار المسافة الدلالية ، فتأويل لفظ (طيباً) عند النحاة

جاء على النحو الآتي:

- إن (طيباً) مفعول به لفعل مقدر يدلّ عليه المذكور الفعل(ترى) في أول البيت وتقديره (ترى طيباً)، وهذه الرؤية وإن كانت مشتملة عليها فليس لها طريق إلى الطيب في مفارقتها ، وإن كانت الرؤية لها ليس مما يلزم معه رؤية طيب مفارقتها وجب أن يكون الفعل المقدر لنصب الطيب مما يصحب الرؤية لا الرؤية نفسها ، فكأنّه قال : لن تراها إلا وتعلم لها أو تتحقق لها في مفارق الرأس طيباً (ابن جني أ.، ١٩٥٢، صفحة ٤٢٩/٢) .

- إنّ محورية (طيباً) صاحبها تأويلات لألفاظ في النصّ جاءت على وفق ما يحمله الفعل (ترى) ، فإذا كان معنى الإبصار فيكون (لها) حالاً و(طيباً) مفعول به ، وإذا كان بمعنى العلم أي: فلبيا يكون (لها) مفعول به ثانٍ ، و(طيباً) هو المفعول الأول ، أمّا إذا كان بمعنى تبصّر فيتعدى إلى مفعول واحد (علي، ٢٠٠٠، صفحة ١٥٥).

مستوى التعالق الدلالي:

هذا المستوى يبنى على تعالق الجمل أي : أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان بها بأول (الجرجاني، ٢٠٠٤) ، وهذا يعني أنّ فعل القراءة يبدأ من المستوى النحوي ومن ثمّ المستوى الدلالي ، والترابط بين المستويين يحدد مفهوم النص من جهة ، ومن جهة أخرى أن المستويين يعدان أداتين مهمتين في التأويل النصّي وإن في قلب الوجود وصميمه ثمة مسافة يقال لها : الدلالة (عادل، ٢٠١٧ ص١١) ، وهذه التأويلات النحوية والدلالية التي انتجت تلك المسافة الدلالية جاء بفعل القراءة ، وبها مكنت القارئ المبدع من الوقوف على المستويين.

فالفعل في النصّ له دلالتان أحداهما : دلالة الرؤية البصرية وعلى أثره يكون المعنى :تكون حاسرة الرأس ، وهنا لا يمدح إذا كانت مكشوفة الرأس ، والثانية: دلالة الرؤية القلبية, ويكون مغايراً لما جاء في الدلالة الأولى وجب أن يكون الفعل لينصب الطيب بما يصحب الرؤية كأنّه قال: لن ترها إلا أن تعلم لها أو تحقق لها من مفارق الرأس طيباً (ابن جني ا.، ١٩٨٣، صفحة ٤/٢) ، وعند قراءة النصّ نحوياً ولاسيما الفعل (ترى) نجد اختلاف الدلالة التأويلية ، أي : أنّنا بوساطة القراءة النحوية توصلنا إلى دلالة النصّ ، ومنه ظهرت لنا المسافة الدلالية بفعل التأويل.

المسافة الدلالية على المستوى الدلالي:

تظهر المسافة الدلالية في أيّ نصّ بعد عملية القراءة التي يقوم بها القارئ المبدع فأمام هذا القارئ نصّ فيه فراغات ، وفجوات يحتاج إلى إملائها من طريق عملية التأويل إذ يعتمد تركيب النصّ الغوي بالدرجة الأساسية على اللفظ بوصفه بنية نصّية يحمل شحنات دلالية يصل بوساطتها القارئ وبطريقة متسلسلة إلى المعنى الدلالي للنصّ أب : دراسة العلاقة بين الدال والمدلول ، إذ إنّ النصّ يركز في بنائه على مجموعة العلاقات الدلالية التي

تتجلى في متوالياتــه ، وتتلاحم في بناء منطقي محكـم سـواء كان ذلـك علـى مسـتوى البنية السـطحية أم البنيـة العميقة (فـوزي، ١٩٩٧، صفحـة ١٠ و١١) ، لـذا أولت نظريـة التلقي اهتمامهـا بالقارئ ، ومنحته كامـل الحرية في إنتاج المعنـى وصياغته من طريق التفاعل مع النصّ المقـروء وهـذا التحاوروالتفاعل بينهما يمثـل (العلاقة الديناميكية التي تجمع بين النصّ والقـارئ ، وتقوم على جدلية التفاعل بينهما في ضـوء اسـتراتيجيات عدة) (سـامي، ٢٠٠٢، صفحـة ١١١) ؛ لكـون النصّ حمّـال دلالات وإنتاجهـا يكون بحسـب ثقافة القـارئ وقدراته التأويلية منهـا القرائن النصّية التـي تمكنّه من نتاج النصّ أو تجعله قادراً على أن يخلق معاني جديـدة قد لا تجده في مخطوطـة النصّ ، وهذا ما نجده في التفاعل القرائي بين قوله تعالى : { إِلاَّ أَن يُسْـجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } {يوسـف ٢٥} و(الفخـر الرازي) الـذي يرى فـي تأويل هذه الآية أنّ أمرأة العزيز لشدة حبها ليوسف " عليه السلام " حملها على رعاية دقيقتين في النصّ : (الرازي، ١٩٨١، صفحة ١٢٤/١٨ و ١٢٥)

الأولى : إنّها بدأت بذكر السجن وأخرت العذاب { إِلاَّ أَن يُسْـجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيـمٌ} ؛ لأنّ المحبّ لا يسـعى في إيـلام محبوبه وإنّها لـم تذكر أنّ يوسـف «عليه السـلام» بجب أن يعامل بأحد هذين الأمرين بل ذكـرت ذلك ذكراً كلّياً صوناً للمحبوب عن الذكر بالسوء والألم.

الثاني : إنّما قالت : { إِلاَّ أَن يُسْـجَنَ }، أن يراد أن يسجن يوماً أو أقل على سبيل التخفيف ، فأمّا الحبس الدائم فإنّـه لا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقـال: يجب أن يجعل من المسـجونين ألا ترى أنّ فرعـون هكذا قال حين تهدد موسـى " عليه السـلام" في قوله تعالى: { قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} { البقرة :٢٩} .

ومـن تأويـل (الرازي) أنبرى قارئ آخر ؛ ليكشـف عمّا في جعبته ما موجود في جماليات هذا النـصّ مبينـاً فيـه المسـافات الدلالية بين أسـطره ، كـ (العطوي) الـذي أظهر لنا نتاجاً دلالياً من الآية نفسها إذ يرى الآتي: (العطوي، ٢٠١٠)

- إنّهـا وضعـت (العذاب الأليـم) أي : الموجع ، اتمامـاً لترهيبهـا ليوسـف "عليه السـلام" ؛ ولإظهارهـا الحـرص على شـرفها وشـرف زوجها.

- أمر يتعلق بدلالة الاسـم والفعل ، ففي الاسم (عذاب أليم) إشـعاراً بالمواصلة والثبات – وهذا ألـم - ؛ لـذا لم تبدأ به ، في حين قالت : { الا ان يسـجن } ؛ تعبير بالفعل يشعر بعدم الاستمرار ، ولو وازنا بين القراءتين (الرازي والعطوي) نجد الآتي:

أولاً: إنّ القراءتيـن أوجـدت مسـافة دلاليـة جديدة بتأويـل النصّ ناتج عن الإمكانية اللغوية والمعرفية للمؤولين.

ثانيـاً: إنّ التأويلين للنصّ أعطى مسـافة دلالية واحدة : أنّها لم تعين العقوبة ؛ لشدة حبها لـ(يوسف عليه السلام)، لذا جعلت الأمر خياراً باسـتعمالها "أو" بدلاً من " الواو" وهذا يحتاج وقتاً للبت فيه.

ثالثاً: إنّ هذه النتاجات الدلالية تظهر أنّ القارئ هو الـذي أوّل النصّ بحسـب معجمـه اللغوي والمعرفي.

إنّ النـصّ لا حـدود لتأويلـه ؛ لأنّـه يحتمـل قـراءات متعـددة على مرّ الزمـن ، وهو الذي يسـمح بتلك التأويلات ؛ لأنّ (بنية النصّ تتوقع حضـور متلـق دون أن تحـدده بالضـرورة) (إيزر، صفحة ١٩٥) ، ففي قوله تعالى:{ قَالُوا يَـا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِـدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَـلْ نَجْعَـلُ لَكَ خَرْجاً عَلَـى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَـدّاً {٩٤} قَـالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْـرٌ فَأَعِينُونِـي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُـمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً {٩٥} آتُونِـي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَـاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْـنِ قَالَ انفُخُـوا حَتَّى إِذَا جَعَلَـهُ نَاراً قَالَ آتُونِـي أُفْـرِغْ عَلَيْـهِ قِطْـراً ٩٦}{ الكهف} ، فلمـا كان النصّ القرآني ثريـاً بالدلالات أنبرى عليـه القـراء وبأزمنـة مختلفة علـى تأويله ، وهـذه التأويلات كوّنت أمرين اثنين ، أحدهما : تعدد نتاج المعاني بيـن قارئ وآخر ، والآخر: المسـافات الدلالية الناتجة مـن تلك القراءات ، فتأويل هذه الآية يحتاج إلى تفسير مفرداته دلالياً ، ولاسيما (ردما، سدا ، زبر الحديد ، الصدفين ، قطرا) ، ففي قوله تعالى:{عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً} {الكهف٩٤} و{أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمـاً} لكهف٩٥} ، إذ تحـدث (الرازي) عن الردم فقال: (يقال : ردمت الباب أي : سددته ، وردمت الثوب رقعته ؛ لأنّه يسد الخرق بالرقعة ، والـردم أكثر من السـدّ ، قولهم : ثوب مردوم أي : وضعـت عليه رقـاع) (الرازي، ١٩٨١، صفحـة ١٧١/٣١) ، فلم أجد غير هذا التفسـير للمفردتين (ردماً وسدّاً) عند المفسرين ولاسيما (الـرازي) ، ويبدو من كلامه أنّ (السـدّ) غير (الردم) ؛ لأنّ :

- السدّ هو إغلاق الخلل ورد اللثم (ابن منظور، صفحة ٢٠٥/٣).
- الردم أكثر من السـدّ للدلالـة على أنّ اللفظين ليسا بمعنى واحد.

وعنـد تتبـع تأويـل الاية التـي بعدها نجد مصداق الفرق بين اللفظين قوال تعالى :{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَـاوَى بَيْـنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً} {الكهـف٩٦}، قال (الرازي) (الرازي، ١٩٨١، صفحـة ١٧٢/٣١): زبر الحديد قطعه ، والزبـر مـن الحديد القطعـة الفخمة، والنصّ فيـه أضمـار أي: أفـوه فوضـع بعـض الزبر بعضهاعلـى بعض حتـى صارت بحيث تسـدّ بين الجبليـن إلى إغلاقها وضـع المنافخ عليها حتى صارت كالنار صبّ النحاس المذاب على الحديـد المحمي فالتصـق بعضه ببعض فصار جبلاً صلداً ، ثم قال : واعلم أنّ هذا أمر معجز.
- البعـد بيـن السـدين فإنّـه فرسـخ والصدفان جانبا الجبلين ؛ لأنّهمـا يتصادفان أي: يتقابلان (الرازي، ١٩٨١، صفحة ٣١/ ١٧٢).

ويبدو أن هذه القراءة عند المفسرين ولاسيما (الـرازي) تركـز على الجانـب الدلالي وعلى رأي (شـليرفاخر) تعدّ المعرفـة المتضمنة في النـصّ نتاجاً اللغة (أبو زيـد، ٢٠١٤، صفحة ٢١)، ولمّا كان النصّ نسـيجا للعلاقات اللغوية تنبجـز منه فجـوات ينبري القارئ لسـدّها من

طريـق الدخول إلـى عالم النـصّ لأنتاج معنى مغايراً وبحسـب رأي (النيلي) جاء تأويل آيات سورة الكهف الآنفة الذكر على النحو الآتي:

- يـرى أن حديـث المفسـرين عن (سـدّ ذي القرنين) غير صحيح ؛لأنّ السدّ يكون شاخصاً قائمـاً ، والردم هو تسـوية للأطراف ، فالحفرة تردمهـا والكوة في السـقف تردمهـا ولا يصحّ أن تقـول أسـدّها. وهذا يعني أنّ شـيئاً قائماً في الأصل يحتـاج إلـى توصيل لأطرافـه والغاء الفجوة التـي هي منفذ يأجوج ومأجوج (النيلي، ٢٠٠٤، صفحة ١١٨).

{ ففـي قولـه تعالـى :{آتُونِـي زُبَـرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَـاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْـنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَـهُ نَـاراً قَـالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْـهِ قِطْراً} {الكهـف٩٦} نظـرة علمية تتعلـق بـ(الفيض المغناطيسـي) وعلاقته بالحركة ، إذ اتضح من هذه المعلومات تسوية الصدفين القائمين بالفعل ، وهـذه (الأصـداف) تحتـاج إلـى مغناطيس صناعـي كبير؛ لتوصيل خطوط الفيض ، وهذا ما فعله ذو القرنين إذ جاء بمسحوق الحديد (زبر الحديد) فأحرقه وصـبّ عليه مصهور النحاس (قطراً) وهـذا يُعدّ من أرقى أنـواع المغانيط ، وأكثرهـا كفـاءة من الناحيـة العلميـة (النيلي، ٢٠٠٤، صفحـة من ١١٩ الـى ١٢٢) أي: أنّ ذا القرنين قام بسـدّ تلك الفجوة بهذا المغناطيس الذي صنعه ، وقراءة (النيلي) هذه نتاج التطور سواء على المستوى اللغوي أم المستوى العلمي ، اضافة إلى أنّـه أراد أن يبين الإعجاز العلمي في القران الكريم.

تختلفـي خلـف النـصّ دلالات متعـددة ، والقـارئ المبـدع هو الـذي يحـاول الوصول إلـى أقصى نقطة في النصّ للكشـف عن معنى المعنـى الذي عبر عنه الجرجاني (ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، وذلك إذا قصـدت أن ... ضـرب آخر أنـت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ علـى معناه الذي يقتضيـه موضوعه في اللغـة، ثم تجد لذلـك المعنى دلالـة ثانية تصل بهـا إلى الغرض) (الجرجاني، ٢٠٠٤، صفحة ٢٦٢) ، والغرضـان اللذان ذكرهما الجرجاني يمكن التمثيـل لهما بقوله تعالـى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّـهَوَاتِ مِنَ النِّسَـاء وَالْبَنِيـنَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ} {آل عمران١٤} ، فالغـرض الأول يمكـن الوصـول إليه بدلالة الألفاظ في النصّ فـي حين الغرض الثاني لابدّ من حضـور (التأويل) عند القارئ المبدع الذي مـن طريقه تظهر بين النصّ والقارئ المسـافة الدلالية.

المتحدث عنه في الآية لفظا (النساء والبنين) وقبل بيـان الدلالة التأويلة عند المفسـرين لابدّ من الإشـارة إلى أنّ تأويل هذين اللفظين مرتبط بالمصاحبـات اللغوية الواردة فـي النصّ كـ(زين وحبّ ومتاع) :

- المـراد بـ(التزييـن) في قوله تعالـى: {زُيِّنَ لِلنَّـاسِ} يجعل الحبّ بحيث يجـذب الناس إلى نفسه ؛ ليصدهم عن غيره فإنّ الزينة هي الأمر المطلـوب ، والجانـب الـذي ينضـم إلى غيره ليجلب الإنسـان إلـى ذلك الغيـر (الطباطبائي، ١٩٩٧، صفحة ١٠٤/٧) .

- المراد بحبّ الشهوات في قوله تعالى:{ حُبُّ الشَّهَوَاتِ} ، إنّه يشتهي أنواع الشهوات ، إنّه يحبّ شهوته له ، وهذا المعنى حامل لجميع الناس والفعل يدلّ عليه وهو إنّ كلّ ما كان لذيذاً ونافعاً فهو محبوب ومطلوب لذاته (الرازي، ١٩٨١، صفحة ٢٠٣/٧ و ٢٠٩).

- في قوله تعالى:{ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} {آل عمران ١٤} في اسم الإشارة (ذلك) دلالة على الشمولية وإحالة إلى سابق ما ذُكر(النساء ، البنين ، القناطير المقنطرة ..إلخ) ، أي : يشتمل على على الأشياء الكثيرة المختلفة المعاني ، وهو إخبار من الله تعالى: إنّ ذلك كلّه مما يستمتع أهلها به في الدنيا ، ولفظ متاع مؤذن بالقلة وعو ما يستمتع بع مدة (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ١٨٤/٣)، أي ما ينتفع به الناس لمدة محدودة في الزمن ويرغب في اقتنائه ، ومن هذه المصاحبات اللغوية الآنفة الذكر جاءت الدلالة التأويلية للفظي (النساء والبنين) عند المفسرين بمعناهما الحقيقي إذ جعلوا من (النساء) وبحسب الترتيب للآية أولى المشتهيات ؛ لأنّ الإلتذاذ بهن أكثر والإستئناس بهن أتمّ ...فإنّ العشق الشديد المتعلق المهلك لا ينفق إلا في هذا النوع من الشهوات (الرازي، ١٩٨١، صفحة ٢١٠/٧) ، والظاهر أنّهم جعلوا لفظ النساء في مقابل لفظ الرجال ، ولفظ البنين الأولاد ذكوراً كانوا أم اناثاً.

ولمّا كانت القراءة تسير باتجاهين من النصّ إلى القارئ ومن القارئ إلى النصّ تحولت إلى نشاط معرفي هذا النشاط أظهر التفاعل فيما بينهما ، والقارئ (محمد شحرور) واحد من المتفاعلين مع نصّ هذه الآية ، فاللفظان (النساء والبنين) ذوا معنيين غير ما عُرف عند المفسرين جاءت على النحو الآتي:

- لفظ (النساء) لا يقابل لفظ الرجال ، فاللفظ عندة آتٍ من نسأ الشيء وهو التأخير نحو قوله تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} { التوبة٣٧} ، ونسيء ونسوء جميعاً نسوة ونساء (ابن فارس، ١٩٧٩، صفحة ٤٢٣/٥).

- إنّ الله خلق آدم "عليه السلام" ثُمّ خلق حواء "عليها السلام" أي: أنّ الأنثى ظهرت في الوجود متأخرة عن الذكر ، ولهذا سميت الأناث نساءً ؛ لتأخرهن في الخلق (شحرور، صفحة ٦٤٣).

- إنّ لفظ النساء في قوله تعالى:{من النِّساء} جاء ليدلّ على كلّ شيء متأخر ، وهنا يظهر معناه من آية الشهوات التي تعدّ الشهوة رقم واحد التي يشتهيها كلّ الناس وهي المتأخرة من المتاع والأشياء أي : ما نسيء منها ، أو تقول عنه في المصطلح الحديث : (موضة) ، فالإنسان يشتهي آخر (موضة) من اللباس والسيارات والأثاث..ألخ) ، يشتهي المتأخر الحديث من الأشياء كلّها ، التي نسأت عمّا قبلها وجعلها القرآن الكريم بمصطلح واحد وهو (النساء). (شحرور، صفحة ٦٤٣).

أمّا قوله تعالى : {البنين} فلابدّ من التفريق بين لفظين (بني وبنو) ، فبني: تدلّ على اللزوم والإقامة ، وعندما يتزوج الذكر من الأنثى فأنّه يبني على الأنثى ، أي: يبني خيمة منفصلة عند العرب ، أمّا لفظ (ابن) فقد جاءت من (بنو) ، وهو من التوليد وجمعها (أبناء) فنقول: ابن

فـلان وابن المدينـة ...ألخ ، فالمعنـى الحقيقي لـ(البنين) هو اللزوم والإقامة وهذه صفة الأبنية والنيـان ، وجـاءت بالمعنى الحقيقـي في قوله تعالى: {أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ} { الشعراء١٣٣} ، هنـا ربـط البناء بتذليل الأنعـام ، ولولا تذليل الأنعـام لما اسـتقر الإنسـان وبنى لها مسـكناً ، وقوله تعالـى: {الْمَـالُ وَالْبَنُونَ زِينَـةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَـا } {الكهـف٤٦} ، فالبنون هنا من الأبنية ، والأبنيـة مـن اللزوم والإقامـة وليس الذكور مـن الأولاد ، فيلحظ كيف تطابقت هذه الآية مع آية الشهوات – شهوات الإنسان المنقولة وغير المنقولة- ، وهذه الأشـياء متاع الدنيا وزينتها ، ويلحظ هنا كيف تمـت الوحدة الموضوعية في الآيـات ؟ وكيف صار الخبر موضوعا صادقا؟ (شحرور، صفحة ٦٤٤).

فهذا اللون من القراءات أظهر أمرين اثنين:

- أظهر المسـافة الدلالية بين النصّ والقارئ بالنسـبة للقارئ الثاني(الآخر) من طريق تأويل لفظي(النساء والبنين) سواء كان عند المفسرين أم عند (شحرور) .

- أن قارئ النصّ (شـحرور) ركز على الجانب اللغوي الذي منحه إنتاج هذه الدلالات مسـتعيناً في الوقت نفسه بثقافته المعرفية.

الخاتمة

خاتمـة أيّ بحـث تعـدُّ مـن الأمـور المهمة ، وتحتوي على تفاصيل وعناصر هي نتاج رحلة الباحـث الذي بدأ بحثـه بعنوان واضح ليس فيه إطالـة ولعلّه يكون فريـداً ، وما هذه الخاتمة إلا مكملةلتلك الرحلة التي جاءت على النحو الآتي :

ـــ العلاقـة التي تربـط القارئ بالنـصّ علاقة تفاعليـة ، فـلا وجود لأحدهما مـن دون الآخر ، وفعل القـراءة الركيزة الأساسـية التي تربط بينهما.

ـ المسافة الدلالية نتاج القارئ المبدع بعر تأويله للنصّ ، وهذه المسافة بلحظها الفراء المتعددون ،أي :غيـر القارئ الأول (المبـدع) الذي أول النـصّ الذي يوجـد فيه (فراغـات وفجوات) غيـر معروفـة ، وغير محـددة ، وعرفة تلك (الفراغات والفجوات) في النصّ يمكن أن يعبر عنها بـ(المسافة الدلالية).

ـ إذا كانت هناك مسـافة ومانية تفصل بين بين قارئيـن مبدعين ، ممكن للقارئ المبدع اللاحق أن يلحظ تلك المسافة الدلالية التي أنتجها القارئ المبدع السابق ، وبما يمتلكه من ابداعات لغوية وفكرية بأمكانـه أن ينتج دلالة أخرى للنصّ ما دام النصّ يحتمل ذلك.

ـ المقاربة بين السـافة الدلالية والهيرمنوطيقيا (التأويـل) تظهـر التفاعل بين النـصّ والقارئ المبـدع ، مـع حضور البنيـة القصديـة داخل النصّ ، من جانب ومـن جانب أخر إنّ القارئ المبدع يبحث عن الألفـاظ والتراكيب التي فيها احتمالات دلالية ليتسنى له التأويل.

ـ لا يمكن فكّ شفرة أيّ نصّ ما لم يتمتع القارئ بالمعرفـة اللغويـة والمعرفيـة ؛ ليكشـف عن المعنى الظاهر والخفي للنصّ.

ـــ المسـافة الدلاليـة على المسـتوى النحوي ، حضور الوظائف النحوية أمر أساسي، فالقارئ المبـدع لكي يكشـف عن المعنـى الدلالي الذي يختفي خلف (اللفظ) يستعين بالوظائف النحوية

للقيام بالعملية التأويلية.

ـ على المستوى الدلالي ، لمّا كان النصّ حمّالاً للدلالات فإنّ نتاج تلك الدلالات تحتاج إلى قدرة لغويـة كالقرائن النصّ ـ اللفظيـة والمعنوية ـ ، فالنـصّ لا حدود لتأويلـه ؛ لكونه يحتمل أكثر من قـراءة وأكثر من تأويـل ، ووظيفة القارئ المبدع أن يصل إلى أقصى نقطة للنصّ من أجل الوصل إلى المسافة الدلالية المقنعة.

المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم

ـ القارئ في النـصّ نظرية التأثير والإتصال ، نبيلة إبراهيم ، مجلة الفصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهـرة ، مصر، ١٩٨٤، مج ٥ ، العدد ١.

ـ أمالـي ابـن الحاجـب ، أبو عمـر عثمان بن الحاجب ، تحقيق د.فخر الدين صالح سـليمان، بيروت ـ لبنان ـ دار الجيل ، ١٩٨٩.

معجم مقاييس اللغـة ، أحمد بن فارس ، تحقيق عبدالسـلام محمد هـارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩.

ـ الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمـد علي النجـار، دار الكتـب المصرية ، المكتبة العلمية.

ـ منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي ، سـمير اسـتينية ، بغداد، مجلـة أداب المسـتنصرية ، العدد ١٦٤، ١٩٨٨.

ـ جماليـات التلقـي دراسـة في نظريـة التلقي عنـد هانز روبرت يـاوس وفولفجانـج إيزر ، اسـماعيل سـامي ، (ط١، المحـرر) القاهـرة: المجلس الأعلى للثقافة ،٢٠٠٢ .

ـ الهيرمنيوطيقا في الواقع الاسلامي بين حقيقة النص وبنية المعرفة ، معتصم السيد أحمد. دار الهادي للطباعة والنشر ،(ط١)، (٢٠٠٩).

ـ الميزان في تفسـير القرآن ،السيد محمد حسين الطبطبائـي، منشـورات مؤسسـة الاعلمـي ، بيروت ـ لبنان ١٩٩٧.

ـ دور الدلالـة المعجميـة في تحديـد الوظائف النحوية الفاعل إنموذجاً ، عبدالسـلام العيساوي . (٢٠٠٣).. تونس: المجلة المعجمية العدد ١٨ و١٩.

ـ شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد) ، المعـري ابو العـلاء. (المجلد ط١). القاهرة: دار المعارف ، (١٩٨٨م ١٤٠٩هـ).

ـ وضعيـة التأويـل الفـن الجزئـي والتأويـل الكلـي ، إيزر فولفغانغ (المجلد ط١)، الرباط – المغرب، دار الامان (٢٠٠٤).

ـ فعل القراءة نظرية جمالية التجارب في الأدب ، إيزر فولفغانغ، ترجمة د. حميد لحمداني و د. الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل .

ـ نظريـة اللغـة الأدبيـة ، ايفانوكس خوسـيه ماريـا، القاهرة ، دارغريب للطباعة والنشـر، ط١ (١٩٩٢).

- القارئ النموذجي ، إيكو أمبرطو ، ترجمة:احمد بو حسن ، الرباط ، منشورات اتحاد كتاب المغرب ،(ط١) (١٩٩٢) .

- القراءات المتصارعة بالتنوع والمصداقية في التأويل ، أمستونغ بول ، ترجمة: فلاح رحيم ، دار الجديد المتحدة ، ط١ (٢٠٠٩).

- النص الأدبي ومشكلة القراءة ، بولعرابي فتحية ، مجلة حوليات الآداب واللغات ، مجلد ٥، عدد١٢، الجزائر ٢٠١٨ .

- ديوان جرير، جرير بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ،١٩٨٦.

- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، بيروت، دار صادر.

- النص الشعري وأليات القارءة ، حسن فوزي، القاهرة ، منشآت المعارف ، ١٩٩٧.

- منهج في التحليل النصي للقصيدة تنظير وتطبيق، حماسة عبداللطيف محمد، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٩.

- جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف، د. عويض بن حمود العطوي. الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر ، (٢٠١٠).

- النص بين سلطة الكاتب والقارئ ، سلطاني وردة، جامعة سكرة ، جامعة سكرة ، ٢٠٠٩.

- نصيات بين الهيرمنيوطيقا والتفكيكية، سلفرمان هيو، المغرب الدار البيضاء ،٢٠٠٢.

- تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي، سليمان بن علي المعري أبو المرشد، دمشق، دار المأمون للتراث،١٩٧٩.

- من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة دراسة تحليلة نقدية في النظرية الغربية الحديثة، شرفي عبدالكريم ، لبنان ، الدار العربية للعلوم ناشرون ط١، ٢٠٠٧.

- اشكاليات القراءة وأليات التأويل، نصر حامد أبو زيد،الدار البيضاء المغرب ، ط١ ، ٢٠١٤ .

- القراءة التأويلية ، مصطفى شمعية ، الاردن ، عالم الكتب ، ط١ ، ٢٠٠٨.

- الفضاء الادونسي سيمياء الدال ومفاتيح المعنى، محمد صابر عبيد ، دمشق ، دار الزمان للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٢.

ـ ملحمة جلجامش والنص القراني قراءة جديدة عن مرموزات الملحمة وفضائية رحلاتها من خلال وحدة الشخصيتين ذي القرنين وجلجامش عالم سبيط النيلي ، بغداد ، ط١، ٢٠٠٤.

ـــ إشكالية التبعية والايستمولوجية للتأويل الأدبي ، عبد جاسم عباس، يغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٥.

ـــ دلائل الاعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ٢٠٠٤.

ـــ البلاغة والاسلوبية ، محمد عبدالمطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٤.

ـــ نظريــة التواصــل وقــراءة النــص الأدبي عبدالنصــر حســن محمــد، القاهــرة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،١٩٩٩.

ـ قضايا المعنى في البنية النحوية ، عبدالســلام عيساوي، تونس ، الدار التونسية للنشر.

ـ بلاغــة الخطاب وعلــم النص د. صلاح فضل ، الكويت ، منشورات عالم المعرفة ،١٩٩٢.

ـ المقامــات والتلقــي كاظــم نــادر ، بيــروت ، المؤسســة العربيــة للدراســات والنشــر، ط١،٢٠٠٣.

ـ شرح أبيات المفصل ، محمد الجرجاني علي ، تحقيق : عبدالحميد جاسـم الكبيسي، بيروت: دار البشائر الاسلامية، ط١، (٢٠٠٠).

ـــ تفســير التحريــر والتنويــر محمــد الطاهر ابــن عاشــور. تونــس: الســداد التونســية للنشر(١٩٨٤)..

ـ التأويلية العربية ، محمد بازي (المجلد ط١)، الجزائر (٢٠١٠).

المراجع والمصادر

إبراهيــم نبيلــة . (١٩٨٤). **القــارئ فــي النص نظرية التأثير والاتصال**.

ابــن الحاجــب. (١٩٨٩). **أمالي ابــن الحاجب**. (تحقيــق فخــر صالــح ســلمان، المترجمــون) بيروت - لبنان: دار الجيل.

ابو الحسن أحمد ابن فارس. (١٩٧٩). **معجم مقاييس اللغة**. دار الفكر للطباعة والنشر.

أبو الفتح عثمان ابن جني. (١٩٥٢). **الخصائص**. مصر: المكتبة المصرية.

ابو الفتح عثمان ابن جني. (١٩٨٣). **الخصائص**. بيروت: غالم الكتب.

اســتيتية ســمير. (١٩٨٨). **منهــج التحليــل اللغوي فــي النقد الأدبــي**. بغــداد: مجلة أداب المستنصرية العدد١٦٤.

اسماعيل ســامي. (٢٠٠٢). **جماليات التلقي**. (ط١، المحرر) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

السيد أحمد معتصم. (٢٠٠٩). **الهيرمنيوطيقا في الواقع الاســلامي بين حقيقــة النص وبنية المعرفــة** (المجلــد ط١). دار الهــادي للطباعــة والنشر.

الســيد محمــد حســين الطباطبائــي. (١٩٩٧). **الميزان في تفســير القرآن**. بيروت: منشــورات مؤسسة الاعلمي .

العيســلوي عبدالســلام . (٢٠٠٣). **دور الدلالة المعجميــة في تحديد الوظائف النحوية الفاعل إنموذجــاً** . تونس: المجلــة المعحمية العدد١٨ و ١٩.

المعــري ابــو العــلاء. (١٩٨٨م ١٤٠٩هــ). **شــرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد)** (المجلد ط١). القاهرة: دار المهارف.

آيزر فولفغانغ. (٢٠٠٤). **وضعية التأويل الفن الجزئي والتأويل الكلــي** (المجلد ط١). الرباط - المغرب.

آيزر فولفغانغ. (٢٠٠٤). **وضعية التأويل الفن**

الجزئي والتأويل الكلي (المجلد ط١). الرباط - المغرب: دار الامان.

آيزر فولفغانغ. (بلا تاريخ). **فعل القراءة نظرية جمالية التجارب في الأدب**. (د. حميد لحمداني و د. الجلالي الكدية، المترجمون) منشورات مكتبة المناهل.

ايفانوكس خوسيه ماريا. (١٩٩٢). **نظرية اللغة الأدبية** (المجلد ط١). القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

إيكو أمبرطو . (١٩٩٩٢). **القارئ النموذجي** (المجلد ط١). (احمد بو حسن، المترجمون) الرباط: منشورات اتحاد كتاب المغرب.

ب - أمستونغ بول. (٢٠٠٩). **القراءات المتصارعة بالتنوع والمصداقية في التأويل**. (ط١، المحرر، و فلاح رحيم، المترجمون) دار الجديد المتحدة.

بو لعرابي فتحية. (٢٠٠٨). **النص الأدبي ومشكلة القراءة**. الجزائر.

جرير. (١٩٨٦). **ديوان جرير**. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (بلا تاريخ). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.

حسن فوزي. (١٩٩٧). **النص الشعري وأليات القارءة**. القاهرة: منشآت المعارف.

حماسةعبداللطيف محمد. (١٩٦٩). **منهج في التحليل النصي للقصيدة تنظير وتطبيق**. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

د. عويض بن حمود العطوي. (٢٠١٠). **جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف**. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر.

سلطاني وردة . (٢٠٠٩). **النص بين سلطة الكاتب والقارئ**. جامعة سكرة: جامعة سكرة.

سلفرمان هيو. (٢٠٠٢). **نصيات بين الهيرمنيوطيقا والتفكيكية**. المغرب: الدار البيضاء.

سليمان بن علي المعري أبو المرشد. (١٩٧٩). **تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي**. دمشق: دار المأمون للتراث.

شرفي عبدالكريم. (٢٠٠٧). **من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة دراسة تحليلة نقدية في النظرية الغربية الحديثة** (المجلد ط١). لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.

شليرفاخر. (بلا تاريخ). **اشكاليات القراءة زأليات التأويل**.

شمعية مصطفى . (٢٠٠٨). **القراءة التأويلية** (المجلد ط١). الاردن: عالم الكتب.

صابر عبيد محمد . (٢٠١٢). **الفضاء الادونسي سيمياء الدال ومفاتيح المعنى**. (ط١، المحرر) دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر.

عالم سبيط النيلي. (٢٠٠٤). **ملحمة جلجامش والنص القراني قراءة جديدة عن مرموزات**

الملحمة وفضائية رحلاتها من خلال وحدة الشخصيتين ذي القرنين وجلجامش. (ط١، المحرر) بغداد.

عبد جاسم عباس. (١٩٩٥). **إشكالية التبعية والايستمولوجية للتأويل الأدبي**. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

عبد جاسم عباس. (١٩٩٩). **إشكالية التبعية والايستمولوجية للتأويل الأدبي** . بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

عبدالقاهر الجرجاني. (٢٠٠٤). **دلائل الاعجاز**. القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبدالمطلب. (بلا تاريخ). **البلاغة والاسلوبية**. ١٩٨٤: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبدالنصر حسن محمد. (١٩٩٩). **نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي**. القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.

عيساوي عبدالسلام. (بلا تاريخ). **قضايا المعنى في البنية النحوية**. تونس: الدار التونسية للنشر.

فضل د. صلاح. (١٩٩٢). **بلاغة الخطاب وعلم النص**. الكويت: منشورات عالم المهرفة .

فولفغانغ آيزر. (١٩٩٥). فاس - المغرب.

فولفغانغ إيزر. (بلا تاريخ). **فعل القراءة نظرية جمالية التجارب في الأدب**. (د. حميد لحمداني ود. الجلالي الكدية، المحرر) منشورات مكتبة المناهل.

كاظم نادر. (٢٠٠٣). **المقامات والتلقي** (المجلد ط١). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

محمد الجرجاني علي. (٢٠٠٠). **شرح أبيات المغصل** (المجلد ط١). (عبدالحميد جاسم الكبيسي، المترجمون) بيروت: دار البشائر الاسلامية.

محمد الطاهر ابن عاشور. (١٩٨٤). **تفسير التحرير والتنوير**. تونس: السداد التونسية للنشر.

محمد بازي. (٢٠١٠). **التأويلية العربية** (المجلد ط١). الجزائر.

محمد شحرور. (بلا تاريخ). **الكتاب والقرآن**. دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد عزام. (٢٠٠٧). **التلقي والتأويل بيان السلطة القارئ في الأدب** (المجلد ط١). دمشق: دار الينابيع للطبالعة والنشر.

محمد فخر الدين الرازي. (١٩٨١). **تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**. (ط١، المحرر) بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد ناجي آلاء داوود. (٢٠١٢). **شعر أبي القاسم الشابي في ضوء نظرية التلقي**. عمان - الاردن: كلية الآداب للعلوم.

مصطفى عادل . (٢٠١٧). **فهم الفهم مدخل الى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أغلاطون إلى جادامير**. المملكة المتحدة: هنداوي.

مصطفى عادل. (٢٠١٧). **فهم الفهم مدخل الى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من افلاطون الى جادامير**. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

مصطفى عادل. (٢٠١٧). **فهم الفهم مدخل الى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من افلاطون الى جادامير**. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

مصطفى عادل. (٢٠١٧). **فهم الفهم مدخل الى الهيرمنيوطيقا نظرية التأويل من افلاطون الى جادامير**. المملكة المتحدة: هنداوي سي آي سي.

موسى صالح بشرى. (٢٠٠١). **نظرية التلقي أصول وتطبيقات** (المجلد ط١). المغرب الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

موفق الدين بن علي بن يعيش ابن يعيش . (بلا تاريخ). **شرح المفصل** . مصر: الطباعة المنيرية.

ناصر حامد أبو زيد. (٢٠١٤). **اشكالية القراءة وآلية التأويل**. الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي.

هولب روبرت. (٢٠٠٠). **نظرية التلقي مقدمة نقدية** (المجلد ط١). القاهرة: المكتبة الاكاديمية.

يوسف نجم د. محمد. (بلا تاريخ). **ديوان عبدالله بن قيس الرقيات**. بيروت: دار صادر.